الأنباء
الاثنين 25 ابريل 2011

نعيش هذه الايام في فتن عظيمة تنوعت أسبابها، واختلفت مقاصدهـــا، وتعددت مصادرها، وتعيش الكثير من البلاد في خوف وهلـــع وقتل وتشريد وضياع للأمن وأكل للحقوق، فضلا عن فتن الشهوات التي زينت المنكر وقبحت المعروف، فتن تزخرف الباطل وتروج له.

وتحاول محو الحق وإبعاد الناس عنه، بالإضافة الى الكوارث الطبيعية التي يخوف الله بها عباده، من اضطراب الأرض وزلازل وفيضانات، «الأنباء» التقت الإمام والخطيب في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميـــة الداعيـــة فهد الجنفـــاوي للحديث حول الواجب على المسلم فعله في زمن كثرة الفتن.

حيث أكد أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة والتزام جماعة المسلمين وإمامهم والتحلـــي بالصبر والابتعاد عن مواطـــن الفتـــن ومجانبة أسبابها.

وفيما يلي تفاصيل اللقاء:

إعداد: ضاري المطيري

أكد ضرورة عدم الالتفات إلى التحليلات والتوقعات السياسية ولزوم كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ

فهد الجنفاوي: الإخلاص لله ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم والتحلي بالصبر عواصم في زمن الفتنة

من أسباب تغيير حال المسلمين

فهد الجنفاوي

بقلم د.عبدالعزيز بن محمد السدحان من المملكة العربية السعودية

لقد كان من سنة الله تعالى أن هيأ الأسباب ورتب عليها المسببات فأســباب للمعاش وأسباب للاستطباب وأسباب لغير ذلك من شــؤون الحياة إلا أن أعظم الأســباب ما كان موصلا إلـــى مرضاة الله والفوز بثوابه، فمتى ما أخذ بتلك الأســباب التي جعلها الله أسباب نجاة وفلاح كانت نتيجة الأمر نجاة وفلاحا. فإن كانت الأخرى ذهب الفلاح والنجاة وأعقبها الذل والخسران.

ومن أوضح الأمثلة بل من أعظمها وأهمها حال أمة الإسلام اليوم وما آلت إليه تلك الحال من ضعف ومذلة بعد أن كانت تتبوأ مكان العزة والكرامة، تسود ولا تساد، وتقود ولا تقاد، تأمر بأمر الله فتطاع، وتنهـــى بنهي الله فلا تعصى، ذلت لهـــا الأمم ودانت لها الدول، وكانت مضرب المثل بين الأمم لا بالقوة فحسب بل بالأمن والأمان والعدل والاطمئنان إلى أن كان ما كان من تغير أحوال وتبدل مقامات فأصبح كثير من المسلمين عبرة للمعتبرين بعد أن كانوا قدوة للآخرين.

إن تغير أحوال المســلمين مرهون بتغيير أنفسهم إلى ما يرضي الله تعالى كما قال عز وجل (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفســهم)، فمتى غير المسلمون أحوالهم وأصلحوا شــؤونهم بدل الله حالهم إلى أحسن حال، ورفع شأنهم وأعلى مكانتهم.

والناظر بعين الاعتبار إلى أحوال الناس قبل ظهور الإسلام يرى عجائب وغرائب مـــن الجهالات والظلمات التي أضلت الكثير عن طريق الهداية والرشاد، فالأصنام تدعى وترجى، ومجالس الخمـــر معمورة صباح مســـاء، والظلم مرفوعة رايته وقد تلوثت في أوحاله أقدام الكثيرين. شاهد المقال: أن حياتهم لم تزل في ظلمات الجهل والفوضى حتى بعث الله محمدا ﷺ فأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور، ومن الذل والمهانة إلى العزة والمكانة، فأمسكوا بزمام الأمور، وتوالت الفتوحات والانتصارات، ولم يزالوا في رفعة وعزة بسبب تمســكهم بدينهم.ومع تقادم الزمن بدأ الضعف يدب إليهم بسبب بعدهم عن دينهم، ويزداد ضعفهم بقدر ابتعادهم عن دينهم. وكما هو مشاهد ومسموع ومرئي في وقتنا هذا زاد تكالب أعداء الإسلام على المسلمين، ومن أعظم أسباب ضعف المسلمين وقوة عدوهم الإعراض عن حكم الله تعالى والجهل به في كثير من بلاد المسلمين حتى أصبح أمر التوحيد غريبا في كثير من بلاد الإســـلام، فكيف يرجـــى النصر والحدود معطلة فـــي كثير من بلاد المســـلمين، وكيف يرجى النصر والقبـــور تدعى من دون الله، وكيـــف يرجى النصر ورواد أبواب الســـحرة والمشعوذين يترددون عليها صباح مساء، وكيف يرجى النصر وقد أضيعت الصلاة في كثير من مساجد المســـلمين، والله إن تلك الأمور أشـــد فتكا في المسلمين من أعدائهم. ومن أسباب ضعفهم أيضا الإعجاب والتبعية المطلقة لأعداء الإسلام ومحاكاتهم في جميع أو أكثر شؤونهم، وكذا العصبية الجاهلية لجنس أو لون أو لسان.

وإذا كان ذلك كذلك فإن تغيير تلك الحال المخزية المزرية لابد له من أســـباب، أعظم تلك الأســـباب: التمسك بالكتاب والسنة منهجا وعقيدة، والالتفات حول علماء الأمة الراسخين في العلم المعروفين بصلاح المعتقد وسلامة المنهج، وإعادة النظر في تاريخ المسلمين المجيد التليد، لا من باب التسلية والمواساة والتواكل، بل من باب شحذ الهمم وبعث العزائم، والحذر من اليأس والقنوط وقتل الهمم والعزائم، لكثرة ما يرى ويسمع من مصاب الإسلام في أي مكان أو زمان، فعلى المسلم أن يغلق عن نفسه باب اليأس والقنوط بأحكم الأقفال وأوثقها، وأن يحسن الظن بالله تعالى، ومن أسباب تغيير الحال استشعار المسؤولية من كل فرد من أفراد المجتمع، وذلك أن يشعر كل واحد من المسلمين مهما كان موقعه وشأنه بأنه مسؤول ومساءل، فيبدأ بإصلاح نفسه وبيته ثم تتسع دائرة الإصلاح حتى تشمل جلساءه وجيرانه ومجتمعه، وليعلم كل واحد منا أنه على ثغر من ثغور الإسلام فليحذر أن يؤتى الإســـلام من قبله، فعلى الكاتب منا أن يسخر قلمه لخدمة الإســـلام ونصرته، وعلى التاجر أن يراقب الله في تجارته بيعا وشراء، وعلى المسؤول في أي موقع أن يستشعر مرضاة الله في جميع شأنه.

وكذلك فإن اجتناب المعاصي والحذر والتحذير منها من أعظم أسباب فلاح الأمة، فالمعاصي مفتاح لكل شر ومغلاق لكل خير وبســـببها يتصدع كيان الأمة وتزول هيبتها، قال ﷺ: «إذا تبايعتـــم بالعينة ورضيتم بالزرع واتبعتم أذناب البقر وتركتم الجهاد ســـلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم»، ومن أســـباب فلاح الأمة التنبه لمكائـــد الأعداء والحـــذر منها في جميع شـــؤون الحياة كل بحســـب طاقته ذلكم لأن المكائد إذا غفل عنها فإنها تتنامى وتزداد بحســـب تجاهلها وعدم إلقاء البال لها، وفي الوقت نفســـه تتبلد أحاســـيس كثير من الناس تجاهها، ومن ثم يســـتمرئونها ويتأقلمون عليها، وأخيرا من أسباب النصر التفاؤل والقطع بأن النصر للإسلام وأهله.

ما الواجب على المسلم فعله في زمن الفتن؟

● ينبغـــي على المســـلم عدة أمور أولها الالتـــزام بالعبادة والتمســـك بها لورود الفضل الخاص بالعبادة في زمن الفتن، فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث معقل بن يسار، أن رســـول الله ﷺ قال «العبادة في الهرج كهجـــرة إلي»، وقد فسر الهرج في الحديث، بمعنى الفتنة واختلاط أمور الناس، لأن الغالب في زمن الفتن كثرة الفســـاد، من القتل والاعتداء والظلم، والتعلق بحب الدنيا، وهذا فضل عظيم ان الذي يجتهد في العبادة في زمن انتشار الفتن سواء فتن الشهوات أو الشبهات كأنما هاجر الى النبي ﷺ، وكلنا نعرف فضل الهجرة ومالها من الأجر العظيم.

فضل العبادة زمن الغفلة

لكن ما سبب تفضل العبادة في هذا الوقت (زمن الفتن) أو ما الحكمة من ذلك؟

● وسبب عظم فضل العبادة أيام الفـــتن، أن الناس يغفلون عن العبادة فيها، ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا الأفراد. والعبادة عامة في كل ما يحبه الله ويرضـــاه، مـــن الأقـــوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وفي هذا الزمن، كثرت مخالفات الناس لأمر الله، وغفل كثير منهم عن اتباع السنة، والتمسك بالدين، والقيام بالعبادة، واشـــتغلوا بشـــهوات الدنيـــا، وزخارفها ومعاملاتها.

فمـــن يقبـــل علـــى أنواع العبـــادة، ويكثر منها في زمن الفتن وظهورها، مخلصا لربه، راغبا فـــي الدار الآخرة، يرجو رحمة ربه، زاهـــدا في الدنيا، مقتديا بالسنة المطهرة، متبعا لهدي القرآن، تاركا ما نهى الله تعالى ورسوله عنه، من أنواع الشرك والبدع والكبائر وسائر المعاصي، فله أجر المهاجر إلى رســـول الله ﷺ وإن قل عمله وقصر فيه، فهذا مفهوم الحديث، أن العبادة أيام الفتن كهجرة إلى النبي ﷺ.

ولمـــا كانت الفتن ســـريعة الانتشار بين الناس، أمر النبي ﷺ أمته أن يسارعوا بالأعمال الصالحة قبل أن تحول الموانع بينهم وبـــين عمل الصالحات، ليتخـــذوا منهـــا زادا لمعادهم ينجيهم من عـــذاب الله، ففي صحيح مســـلم من حديث أبي هريـــرة ﷺ أن رســـول الله ﷺ، قال: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا».

قال القرطبـــي «لأن المحن والشدائد إذا توالت على القلوب أفســـدتها بغلبتها عليها، وبما تؤثر فيها من القسوة، ومقصود هذا الحديث الحض على اغتنام الفرصة، والاجتهاد في أعمال الخير، والبر عند التمكن منها قبل هجوم الموانع».

وكان السلف يحذرون الفتن عند حلولها، فكانوا يسابقونها بالعمل الصالح، ومن ذلك تذكير الناس ونصحهم وحثهم على التثبت وعـــدم الخوض فما لا يعني، كما أنهم أحبوا السلامة في زمن الفتن، فسكتوا عن أشياء كثيرة طلبا للسلامة في دينهم، لأن الأقوال والأعمال والتصرفات في وقت الفتن، لها أثر كبير في تغيير أحـــوال الناس وتحول قلوبهم.

فالمســـتقيم على دين الله، السائر على منهج النبوة عند تغيير الأحـــوال ونزول الفتن، واتباع الأهواء وانتشار الضلال، وانقطاع المعين وتقطع السبيل، وعد بالأجر والثواب العظيم، لأن مثل هذه العبادة لا تكون إلا من قلـــب مؤمن صادق في إيمانه، ثابت على دينه، راسخ في يقينه، متبع لهدي نبيه.

أجر 50 رجلا

هل هناك أمثلة في سنة الرسول ﷺ للعبادة في زمن انشغال الناس وغفلتهم عنها؟

● نعـــم فالعبادة فـــي أوقات الغفلـــة لها ميزة وهناك أمثلة لتفضيل ذلك العبد الصالح الذي يجتهد فـــي العبادة في أوقات ينشغل الناس عنها ومثال ذلك، لما أخبر عن ســـبب إكثاره من الصيام في شهر شعبان، قال «ذلك شـــهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان» النسائي، فالعبادة في أوقات الغفلة لها ميزة، ولذلك كان القيام في هدأة الليل والناس نائمون فيه ميزة، وأيضا استحب كثير من السلف إحياء ما بين المغرب والعشاء بصلاة النافلة وذكر الله، لأنه من أوقات الغفلة عند الناس، فالمتمسك بطاعة الله، إذا قصر فيها الناس وشغلوا عنها كالكار بعد الفار، فيكون الذي يطيع ربه في هذه الحال له ثواب كثواب الذي يكر في الغزو بعد أن فر الناس من أرض المعركة، والناس إذا كثرت الطاعـــة فيهم وكثر المقتدون والمقتدى بهم سهل أمر الطاعة، ولكن إذا كثرت الغفلة وصار الجهل مسيطرا، وترك الطاعات هو العنـــوان، وقلة المقتدى به وقلة العاملين، فإن الأجر عنـــد ذلك يكون عظيما، قال عليـــه الصلاة والســـلام لأصحابه: «إن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمـــر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا منكم» الترمذي وأبو داود وحســـنه ابن حجر وصححه والألباني، بل إن المنفرد بالطاعة عن أهل الغفلة قد يدفع البلاء عنهم، قال بعض السلف: ذاكر الله في الغافلين كمثل الذي يحمي الفئة المنهزمة، ولولا من يذكر الله في غفلة الناس لهلك الناس.

تجنب مواطن الفتن

أيضا هل هناك أمور أخرى ينبغي للمسلم ان ينتبه لها في زمن الفتن؟

● الاعتصام بالكتاب والسنّة، فالاعتصـــام بهما يحقق للأمة النجاة من كل شر وانحراف «يا أيها الناس، تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وسنتي» يقول شيخ الإســـلام ابن تيمية رحمه الله «والإنسان في نظره مع نفسه، ومناظرتـــه لغيره، إذا اعتصم بالكتاب والسنة، هداه الله إلى الصراط المستقيم».

فلا يلتفت الى تحليلات أو توقعات سياسية بل كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، ويتأكد ذلك عندما تدلهم الفتن، وتكثر المحن، ومـــن ذلك: الابتعاد عن مواطن الفتن، ومجانبة أسبابها، والفرار عن مواقعها، فنبينا ﷺ يقول: «يوشـــك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقـــع القطر، يفر بدينه من الفتن» ويبين صلى الله عليه وسلم عظيم خطر الفتن، ويحث على اجتنابها والهرب منها، وأن شرها وضررها يكون على حسب التعلق بها، فيقول ﷺ: «ستكون فتن القاعد فيها خير مـــن القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي فيها خير من الســـاعي، من تشرف إليها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذ به».

ومنها: أن يلزم المسلم جماعة المســـلمين وإمامهم، فربنا جل وعلا يقول: (واعتصموا بحبل الله جميعا) قال رســـول الله ﷺ «ثلاث لا يغل عليهن قلب مســـلم: إخـــلاص العمل لله، ومناصحـــة ولاة الأمر، ولزوم الجماعـــة، فإن دعوتهم تحيط من وراءهم» يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بعد أن ذكر هذه الخصال الثلاث: «لم يقع خلـــل في دين الناس ودنياهم، إلا بسبب الإخلال في هذه الثلاث».

ومنها: تحلي المسلم بالصبر حـــال الفتن، فهو ســـمة تمنع الشـــخص من القيام بأعمال لا تحمد عقباها، والتمثل به، فيه الســـلامة بإذن الله من غوائل الانحرافـــات، وشـــرور الفتن والمدلهمـــات، بل الصبر يطفئ كثيرا من الفتن، وانعدامه يشعل نارها، فتتقابل الأحقاد، وتثور الفتنة، وتسل السيوف، وتسفك الدمـــاء، والله جل وعلا يقول (يأيها الذين آمنوا اســـتعينوا بالصبر والصـــلاة إن الله مع الصابرين) قال شيخ الإسلام: «ولا تقع فتنـــة إلا من ترك ما أمـــر الله، فإنه ســـبحانه أمر بالحق، وأمر بالصبر، فالفتنة إما من ترك الحق، وإما من ترك الصبر».

خطر الشائعات

تنشر في زمن الفن الكثير من الأخبار التي لا يعرف صدقها من كذبها ويسعى لنشرها البعض، فما توجيهكم في هذا؟

● في هذه الايام وخلال الظروف الراهنـــة التي تمـــر بها بعض الدول العربية تكثر الشائعات المدمـــرة والمحرضة للفتنة من أفراد وقنـــوات فضائية تثير الفتنة بين الشـــعوب العربية الشـــقيقة او عن طريق مواقع الانترنت او الرسائل الهاتفية حتى تحدث البلبلة مثل الاقوال الكاذبة والنكت السخيفة ونشر الخوف والذعـــر بين الناس وكل هذا بريء منه الاسلام.

أفراد وقنوات فضائية يثيرون الفتن بين الشعوب العربية الشقيقة والشائعات جنت على أبرياء ونالت من العلماء والعظماء

على المسلم التثبت فيما ينقله من أحاديث وألا يسهم في نقل الشائعات والأكاذيب ويخوض فيما لا يعنيه

من الأمثلة على فضل العبادة في أوقات الغفلة ترغيب الإسلام في قيام الليل والناس نائمون وصيام شعبان الذي يغفل عن فضله كثيرون

الشائعات من أخطر الامراض المدمرة، فكم من الشائعات جنت على أبرياء، وكم من شائعات أشعلت نار الفتنة بين الشعوب؟ وكم من الشائعات نالت من علماء وعظماء؟

الاســـلام اتخذ موقفا حاسما حازمـــا قويـــا مـــن الشـــائعات ومروجيها لمـــا يترتب عليها من آثار سلبية تزلزل كيان المجتمع وتؤثر على تماسكه وتلاحم أبنائه، وقد وصف القرآن الكريم مروجي الشائعات بالفسق، وحث الناس على التثبـــت والتبين قبل قبول الخبر الكاذب فقال الله سبحانه (يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينـــوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)، كما توعـــد الله أولئك الذين يسرهم إشاعة الفاحشة في المجتمع بالعذاب الاليم في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى (ان الذين يحبون ان تشـــيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عـــذاب أليم في الدنيا والآخرة).

وقد حذر الرسول ﷺ مروجي الشائعات بقوله «كفى بالمرء كذبا أو اثما ان يحدث بكل ما ســـمع» عندما تنتشـــر الفتن وتضطرب الأخبار والأحوال، فإن المؤمن يعلم أن مـــن الموازين ما ذكره ربه في كتابه (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا بـــه، فإذا جاء هؤلاء المنافقين أو ضعفاء الخبرة والبصيرة من المسلمين، أمر وشأن من الأمن والبشـــائر أو الخوف والشر أذاعوا به وأفشوه، وتحدثوا به ولاكته ألسنتهم وخاضوا فيه، (ولو ردوه إلى الرسول) ﷺ (وإلى أولي الأمر منهـــم)، من أصحاب العلم والـــرأي والعقل والخبرة والشـــورى الذيـــن لا يتأثرون بالإشاعات والدعاوى، (لعلمه): فهمه وعرفه على حقيقته وأدرك كنهه، (الذين يستنبطونه منهم): الذين يقدرون على استخراج الحق ومعرفته من خلال غيوم الضلالة والظلمة المتراكمة، فالواجب على المسلم الا يساهم في نشر الاخبار الكاذبة، ولا في نشـــر الشائعات لما في ذلك من الضرر الشـــرعي والمتمثل في الاثم الواقع عليه ولما تجره على المجتمع من ويلات.